بعد عام على رحيله:

سيرة بول ريكور الذاتية الفكرية «بعد طول تأمل»

د. هيثم سرحان*

■ يُعدُّ الفيلسوف الفرنسي بول ريكور Paul Ricoeur رائداً من روَّاد الفلسفة الغربية الكبار في القرن العشرين وواحداً من أبرز فلاسفتها الإشكاليين العابرين للنظريات الفلسفية، إذ من الصعوبة بمكان تحديد الحقل الذي تندرج فيه فلسفة ريكور التي ظلَّت تنفتح على تاريخ الأديان، واللسانيات، والانثربولوجيا، والتاريخ، والسرديات، والفلسفات المختلفة. وقد استطاع ريكور قراءة الإرث الفلسفي الغربي كلَّه؛ فقرأ الفلسفة الإغريقية باللغة اللاتينية، وقرأ الفلسفة الألمانية بدءاً من كانط وانتهاء بغادامير وهابرماس باللغة الألمانية، كما قرأ الفلسفة الإنجلوساكسونية بمختلف اتجاهاتها باللغة الإنجليزية. وقد دفعته ثورة الطلاب عام 1968 إلى الاستقالة بعد أن قامت مجموعة من الطلاب بإلقاء كيس من القاذورات على رأسه عندما كان يشغل رئاسة جامعة نانتير، ورغم أنه كان مُتفهِّماً لتطلُّعاتهم وكان منخرطاً في التيار اليساري إلا أنَّ ذلك لم يمنحه أي حصانة فشعر بأزمة فلسفية دفعته إلى السفر إلى جامعة لوفان البلجيكية ومنها إلى جامعة شيكاغو الأمريكية التي عمل فيها مُدرِّساً للفلسفة مدة ثلاثين عاماً وبعد أن وصل إلى التقاعد عاد لفرنسا في مطلع التسعينات. وبسبب صعود البنيوية في الستينات لم يتح لريكور فرصة البروز والحضور، فقد كانت النخب مشغولة بميشيل فوكو، وسارتر، وشتراوس، وبارت، وجيل دلوز، ولويس ألتوسير. لكنَّ البنيويين أنفسهم سرعان ما انكبوا على قراءة ريكور بعد أفول البنيوية ليكتشفوا أنفسهم أمام فيلسوف عصي على التصنيف وأمام أفكار مُتشعِّبة لا تعترف بالأُطر التقليدية.

أما حضور ريكور في الثقافة العربية فناجم عن مواقفه المعتدلة من القضايا العربية، فقد كان من أبرز الفلاسفة الأوروبيين المناصرين للقضايا العربية، فكان ضد استيطان الجزائر، علاوة على موقفه الإيجابي من القضية الفلسطينية إذ طرح فكرة قيام دولتين على أرض فلسطين عام 1958، ومن المعارضين لقرار منع الحجاب في فرنسا، ومن المؤيدين لحقوق اللاجئين في أوربا، ومن الداعين إلى حوارات مع الثقافات الأخرى.

وأفكار ريكور مهمة لنا، في الثقافة العربية؛ لما تقدَّمه من مبادئ وأدوات تساعد في مقاربة الموضوعات الشائكة التي أصبح بحثها أمراً مُلحّاً أكثر من أي وقت مضى. إنَّ موضوعات اللغة، والهوية، والتراث، والانفتاح، والدين، والذات، والآخر، والصراعات، والعنف قضايا لا تأخذ أهميتها من راهنيتها فحسب بل من قدرتها على كشف المخاضات العنيفة والتحولات المتسارعة التي تعيشها الثقافة والمجتمعات العربية وتسعى لتأمين إجابات عن أسئلتها المتداعية.

أما عن تلقِّي مشروع ريكور عربياً فقد استجابت الثقافة العربية لأفكار ريكور وتلقَّته باهتمام كبير، فقامت فريال جبوري غزول، ومنصف عبد الحق، وسعيد الغانمي، ومنذر عياشي، ومصطفى نحال، وعدنان نجيب الدين، وجورج زيناتي، وفلاح رحيم، وأحمد البحيري، وحسن بن حسن، وغيرهم بترجمة معظم آثار ريكور ودراساته علاوة على ما كتب عنه من أطاريح أكاديمية في الجامعات العربية، وما كُتب عنه في المجلات والصحف العربية.

وهذا الكتاب الذي نُقدم عرضاً له عنوانه "بعد طول تأمل" وهو من ترجمة الباحث الجزائري فؤاد مليت، ومراجعة وتقديم عمر مهيبل أستاذ الفلسفة المعاصرة في جامعة الجزائر الذي كتب تقديماً يُضيء جوانب مهمة في أفكار ريكور. أما مقدمة الكتاب فقد عرض فيها المترجم فؤاد مليت السياقات التي تمت فيها ترجمة الكتاب، فقد ولدت فكرة الترجمة بعد حضور ريكور إلى تونس تلبية لدعوة الأكاديمية التونسية للآداب والعلوم والفنون "بيت الحكمة: للمشاركة في مؤتمر عالمي تم تنظيمه سنة 2003، وقد فاتح أستاذ الفلسفة الجزائري الربيع الميمون بول ريكور بموضوع ترجمة الكتاب فما كان من ريكور إلا أن أبدى سعادته وحماسه للفكرة.

مفهوم الذات في كتابة السيرة الذاتية

لا تنفصل الذات، عند بول ريكور، عن مسيرته الفكرية ومشروعه الفلسفي؛ فالذات مساحةٌ اجتاحتها الفلسفة ووسمتها بميسمها. لذلك لا يمكن، حسب ريكور، تناول ذاته تناولاً مُستقلاً عن أفكاره الفلسفية التي عايشها وطغت على حياته وألحقتها بها لتصبح حياة ريكور نفسها جزءاً من الأسئلة التي ما فتئ ريكور يراكمها. فذات ريكور وحياته لا معنى لهما إلا من خلال انخراطهما في سيرورته الفلسفية وتحولاته الفكرية التي تشكَّلت بفعل مواجهة النظريات الفلسفية والاحتكاك المباشر مع أصحابها.

وعندما يقوم ريكور بتسمية سيرته بـ"السيرة الذاتية الفكرية" فإنما يموقع ذاته فلسفياً. يقول ريكور: "فصفة "الفكرية" تُنبِّهنا بدءاً، إلى أنه لا مجال للحديث عن حياتي الخاصة إلا عماً كان موسولاً بفلسفتي وعاملاً على إيضاحها. ثمَّ إنَّ الحديث عن ترجمة ذاتية لا يجعلني أغفل عن مطبَّات هذا الجنس مَن الكتابة، ذلك لأنَّ ترجمةً ذاتيةً هي، أولاً، حكايةٌ لوقائع حياة ما، ومن حيث هي كذلك، فهي انتقائية ككلِّ عمل سردي...".

فالسيرةُ الذاتية تنتمي، من حيث الجنس، إلى الأدب. ويتمثَّلُ طموحها في إنجاز كتابة تطابقية من وجهة النظر الاسترجاعية وبين مُجريات الحياة اليومية. أما سيرة ريكور فتختلفُ عن السيرة الذاتية التي ترتكز على الهوية، أي على غياب المسافة الفاصلة بين شخصية السرد الرئيسية التي هي الذات، صاحبة الترجمة، وبين الراوي الذي يتحدَّثُ بضمير الأنا ويكتب بصيغة المتكلِّم. وعلى العكس من ذلك تماماً فإنَّ ريكور يقومُ بتأويل نفسه فلسفياً عبر مراحل تكوينه المختلفة.

تأويل الذات التَّعرُّفُ عليها

يعود ريكور، لاكتشاف نفسه، إلى مُحدد زمنيّ مُتمثِّل في الموسم الدرّاسي 1930/1929 حيث أمضى هذه السنة في قسم الفلسفة عندما كان في السابعة عشرة من عمره. لقد أتيح لريكور، في هذه السنة، أنْ يتلقى تعليماً مُغايراً لما كان قد عرفه وألفهُ في سنوات تعليمه الأساسي. وقد تجسَّدت هذه المغايرة في معرفة الأسباب العميقة التي كانت تقفُ خلف تصوُّر الأدباء والكتَّاب للعالم والأشياء. وفي هذا الجانب يرى ريكور أنَّ المدخل الأدبي في تلقي النصوص ومقاربتها يظلُّ قاصراً وناقصاً بامتياز؛ إذ إنَّ كثيراً من التصورات والحقائق تظلُّ محجوبة وغامضة. لذلك لا بدَّ من ولوج المداخل الفلسفية القادرة على إضاءة المعتم وإزالة الغموض ونزع أحجبة النصوص.

ويُشير ريكور إلى أستاذه، في تلك المرحلة، رولان دالبييز Roland Dalbiez الذي كان يعتمدُ المُحاججات الفلسفية، وكان أول فرنسيٍّ يكتب عن سيجموند فرويد S. Freud. لقد تعلَّم ريكور من أستاذه المقاومة الفلسفية التي جعلته قادراً على مواجهة الفلسفات الكبرى وتوراتها الشمولية، مثل: الكوجيتو الديكارتي، والأنا أفكرُ الكانطي. علاوة على أنه أفاد من أستاذه توظيف بُعد "اللاوعي" في دراسة التراث الفلسفي. إنَّ رولان دالبييز لم يكن أستاذاً تقليدياً يُعلِّمُ مبادئ الفلسفة ويشرح أفكارها، بل إنه كان من القلَّة الذين نذروا حياتهم للفلسفة. وهنا يستحضر ريكور قاعدة أستاذه رولان دالبييز الذهبية التي علَّمها لتلاميذه: "إذا أربككم مُشكل ما وسامكم الجزعُ والخوفُ فلا تداروه مُواربةً، ولكن تصدَّوا له مُجابهةً". وهي قاعدةٌ ظلَّت أصداؤها تتحكَّم في مشروع ريكور الفلسفي.

طفولة ريكور

تأثَّر تكوين ريكور الفلسفي بظروف نشأته المُبكِّرة فقد عاش في كنف جده لأبيه بُعيد وفاة أمه التي أعقبت ولادته وسقوط أبيه قتيلاً في جبهات قتال الحرب العالمية الأولى. وعلاوةً على الحداد الذي وسم طفولة ريكور فإنَّ شظفَ العيش وويلات الحرب العامية الأولى وفظائعها قد أسهمت في أنْ يُصبح ريكور الطفل من أيتام الأمة الفرنسية. لكنَّ هاجس اليتم ظلَّ يُلاحقُ ريكور الذي راح يبحثُ عن إجابات فلسفية يجدُ فيها خلاصهُ الروحي والمعرفي. وقد سرَّعت هذه الحالة في بروز ميول ريكور التي ظهرت في بُعدين:

الأول: النجابة؛ فقد كان ريكور تلميذاً نجيباً ونتيجةً لذلك اتجه نحو الرسم والقراءة حيث كانت وسائل الترفيه شحيحةً وغير متطورة الأمر الذي دفعه إلى التهام المقررات الدراسية والكتب التي كان أساتذته ينصحون بها.

الثاني: الفكر الطليعي المصحوب بالقلق: لقد خاض ريكور مخاضه الفلسفي الأول وهو لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره حيث تعرَّض لصدمة فلسفية بعد قراءته مونتاني Montaigne، و باسكال PascalK، وفولتير Voltaire، وروسو Rousseau.

بداية ريكور الفلسفية

وقد رافق هذه الصدمة الفلسفية قلقٌ فكريٌّ تشكَّل نتيجة عجز ريكور عن حسم الصراع النَّاشب بين نشأته البروتستانتية وتكوينه الفلسفي الطليعي. فقد كانت نشأة ريكور البروتستانتية تدفعه إلى عاطفة "التعلق المطلق"، التي صاغها اللاهوتي الألماني المجدد فريدريك شلايرماخر F.Schleiermacher، بـ"كلمة الله". في حين أنَّ مشاغله الفلسفية كانت تدفعه إلى التَّعلُّق بـ"كلمة الإنسان".

لقد نجح ريكور في تذليل الصراع بين الدين والفلسفة وجعله صراعاً حميمياً قادراً على إنتاج معرفة جديدة بعد أنْ قرأ كتاب برغسون Bergson "منبعا الأخلاق والدين"، وتعليق اللاهوتي كارل بارث Karl Barth على "الرسالة إلى أهالي روما" عام 1919 ففي حين كان برغسون من الفلاسفة النقديين المؤمنين بالوعي «الإنساني فإنَّ بارث كان رائداً من رواد اللاهوت الديالكتيكي الذين انقلبوا على "البروتستانتية الليبرالية" عندما قام بكتابة شرح وتعليق على "الرسالة إلى أهل روما". وفي هذا التعليق يُشدد بارث على الوحي الإلهي للكلمة رافضاً وعي الإنسان الديني؛ لأنَّ الإيمان، حسب بارث، ليس مسألة برهان عقلي أو شعور عاطفي.

وقد نجم عن الصراع المرير، الذي عاشه ريكور بسبب عجزه عن التوفيق بين الإيمان والعقل، فشلهُ في الحصول على درجة الأستاذية في الفلسفة لكنه سرعان ما تفادى هذا الفشل وحصل على الأستاذية عام 1934 بعد أنْ أعدَّ مشروعه في التخرُّج الذي تناول فيه موضوعاً يقدِّم إجابات عن صراعاته الفكرية عنوانه "مُشكلة الإله عند لاشولييه ولانيو".

لكنَّ ريكور ظلَّ عاجزاً عن استبعاد فكرة الإله رغم تطلُّعاته العقلية، بل إنَّ نتائج استقرائه ومتابعته منحته الثقة بإمكانية التعايش بين الدين والفلسفة دون الخلط بين الفلسفة والإيمان التوراتي الذي يمثل متعالياً لا يمكن تجاوزه فلسفياً.

ثمَّ كان أنْ انتقل ريكور، عبر لاشولييه ولانيو، إلى ارتياد الفلسفة الفرنسية التأملية ذات القرابة بالكانطية الألمانية. وسوف تكون السنة الباريسية 1935/1934 بالنسبة لريكور من أكثر السنوات أهمية إذ التقى فيها بجبرائيل مارسيل G. Mus-serl، وإدموند هوسرل E. Husserl علاوة على ما جناه من فوائد نتيجة ما تلقَّاه من تعليم في جامعة السوربون؛ إذ أخذ دروساً في الهيلنيات على ليون روبان L. Boban ودروساً في تاريخ الفلسفة على يد المؤرخ الكبير إميل بريهيه E. Brehier واستطاع أنْ يقف على الفلسفة التأملية والمثالية النقدية على ليون برونشفيج L. Brunschvicg.

وتعرَّف ريكور إلى جبرائيل مارسيل من خلال "حلقات الجمعة" تلك الجلسات التي كان يلتقي فيها عدداً من المشتغلين والمتابعين والمهتمين بالفلسفة حيث تُعرض نقاشات فلسفية حادَّة وكان لزاماً على كلِّ مشترك أنْ يختار موضوعاً ويُعالجه دون وصاية أي فيلسوف مشهور متخذاً لنفسه مرجعاً قائماً على تحليل التجارب العامة والمُلغزة مثل: الإيمان، والظلم، أو تحليل تصوُّرات أو مقولات مُحلَّلة بارث مفهومي ثقيل مثل: القَبْلي والحقيقة، والواقع. وقد منحت هذه الحلقات بول ريكور دُربةً ومِراساً على السِّجالات والنِّقاشات السقراطية.

وعن طريق جبرائيل مارسيل تعرف ريكور إلى كارل ياسبرس K. Jaspers وفلسفته الوجودية الأمر الذي مكَّن ريكور من الحصول على عدَّة فلسفية جعلته قادراً على خوض نضال فلسفي يُمكِّنه من التَّعايش مع أشد الفلسفات تعارُضاً.

أفكار ريكور السياسية

تشكَّلَ وعي ريكور السياسي نتيجة تعرُّفه إلى إمانويل موني E. Mounier الذي قدَّم أطروحةً فلسفية تتناول علاقة الشخص بالجماعة وبخاصة فيما يتعلَّق بقضية حرية الأشخاص رغم انخراطهم وانتمائهم الحزبي. وقد رأى ريكور في هذه الأفكار خلاصاً روحياً مكَّنه من تجاوز مسألة الالتزام الفلسفي والبروتستانتي، يقول ريكور: "استفدت من موني كيف أقرن قناعات روحية بمواقف سياسية ظلَّت إلى غاية ذلك الحين مُجاورةً لدراساتي الجامعية ولانخراطي في حركات الشباب البروتستانتية".

وقد تنامت أفكار ريكور السياسية بعد أنْ تسربت إليه مشاعرُ الإحساس بالظلم؛ فعندما كان في حدود الثانية عشرة من عمره تمَّ توقيع معاهدة فرساي التي وضعت جداً لهمجية الحرب العالمية الأولى. لكن ريكور ظلَّ يعتقد أنَّ هذه المعاهدة لم تكن مُنصفةً؛ إذ إنها لم تمنح المتضررين أية قيم اعتبارية، وقام بمهاجمتها ووصفها بأنها معاهدة جائرة. وإذا كان الدافع الذاتي سبباً في موقف ريكور من المعاهدة إلا أنَّ هذا الموقف يُعبِّر عن مشاعر عدد كبير من فئات المجتمع الأوربي التي ضرستها الحرب، إضافةً إلى كونه يجسِّد موقف أحد أهم الفلاسفة والمفكرين الأوربيين من الحرب وعبثيتها التي تؤدي إلى تنامي الأديان الدينية وتدفع المجتمع لإعادة إنتاج البرامج الدينية وإعادة تشكيل الهوية دينياً. يقول ريكور: "إنَّ ما تضمَّنته معاهدة فرساي من جور قد قلبَ على نحو عنيف موت أبي الذي سقط قتيلاً على الجبهة سنة 1915، لقد بدا موته كما لو كان عبثاً لا طائل من ورائه، خصوصاً وقد حرِمَ من مجد الحرب العادلة والنصر الذي لا تشوبه شائبة. وقد انضاف، مُبكِّراً، إلى نزعةِ السلام المتولِّدة عن هذه التَّقلُّبات شعورٌ قوي بالظلم الاجتماعي الذي لم يعدم تشجيعاً وتسويغاً في نشأتي البروتستانتية".

تجربة السِّجن

لم يكد ريكور يُنهي صيفاً ممتعاً، بصحبة زوجته، في جامعة ميونخ حتى تمَّ اعتقاله. فقد كان ريكور أنْ ذهب إلى جامعة ميونخ بصفة مدنية ضمن إطار إتقان اللغة الألمانية لكنه سرعان ما صار مُحارباً في القوات الفرنسية ثمَّ ضابطاً أسيراً في سجون النازية.

وسوف تكون مدة الاعتقال التي دامت خمس سنوات 1940 – 1945 من أهمِّ سنوات ريكور خبرةً وأعمقها تكويناً؛ فقد كانت تجربة الاعتقال فرصةً ذهبية للتأمل والقراءة والحوار ومعاودة إنتاج الأسئلة. يقول ريكور: كان الاعتقال "مناسبةً لتجربة إنسانية فذة قوامها حياةٌ يوميةٌ كنت أقاسمها آلاف الرِّجال، وانعقادُ أواصر الصداقة المتينة، ونظام منضبط لتعليم عفوي، وقراءة مضطردة للكتب المتاحة لنا في المعتقل". إذ قام، في أثناء اعتقاله، باستئناف قراءة هيدغر قراءة مُتمعِّنةً إضافةً إلى قيامه بترجمة كتاب إدموند هوسرل الأفكار I، ومباشرته بتحرير كتاب فلسفة الإرادة. ونتيجة لما أنجزه ريكور في فترة اعتقاله فإنه تحدَّث عن سنوات اعتقال مُثمرة على الصعيدين الإنساني والفكري. ورغم فداحة الاعتقال الألماني النازي وويلاته التي طالما عانى منها ريكور إلا أنه ظلَّ مُعجباً بالفلسفة والفكر الألمانيين ولم تتمكَّن فظاعات محيطه الاعتقالي و"إرهاب التاريخ" أنْ يعصفا بهذا الإعجاب.

وسوف يقيم ريكور عقب خروجه من المعتقل في ربيع 1945 في مدينة شامبون سير لينون مدة ثلاث سنوات. وسيُبدي ريكور تعاطفاً في هذه المدينة، مع اليهود انطلاقاً من مرجعيته البروتستانتية وما ولَّدته النازية من نزعات عداء لليهود في أوروبا التي نجم عنها تعاطف خصوم النازية مع اليهود وتضامنهم معهم. يقول ريكور: "كان غالبية سكَّان شامبون سير لينون من البروتستانت الذين هبُّوا وراء قساوستها، سِرّاً، لإيواء اليهود وحمايتهم من مُطاردات الشُّرطة الفرنسية ومصالح الجستابو الألماني. ودرَّست في كوليج سيفينول الذي احتضن الكثير من أطفال اليهود وبقي مُحافظاً على رعايته للقيم العالمية والسِّلمية لمؤسسيه. وقد انبعث، من جديد، حواري الداخلي القديم المُتعلِّق بـ"الإنسان المُسالم وحضوره في التاريخ».

التأسيس الفلسفي

بدأ ريكور تأسيسه الفلسفي عندما تقدَّم لنيل درجة الدكتوراه التي حصل عليها عام 1948، وقد كانت اللجنة المُمتحنة تشترط أنْ يُقدِّمَ الباحث عملين مميزين ومتمايزين يكون الثاني مُتمخِّضاً عن الأول ومكمِّلاً له، فقام ريكور بتقديم ترجمة كتاب إدموند هوسرل الأفكار I التي كان قد أعدَّها في أثناء اعتقاله بعد أنْ قام بإضافة التعليقات والحواشي والشروحات والملاحظات المضيئة على مُركَّزة تُعدُّ من أهم المقاربات الفلسفية التي تعرض مسيرة الفينومينولوجيا "الظاهراتية" والهرمينوطيقا "التأويل"، تناول فيها ريكور اتجاهات الظاهراتية بدءاً بهوسرل مروراً بالفيلسوف الروماني إنغاردن Ingarden والألماني أوجين فنك E. Fink وانتهاء بالفرنسي ميرلو بونتي Merleau - Ponty الذي كان قد واجه في كتابه فينومينولوجيا الإدراك الحسي، وبتوجيه من إميل بريهيه، التأويل الأرثوذكسي على الرد الفينومينولوجي بمقاومة كبيرة إضافة إلى عقده موازنة بين الفينومينولوجيا الواقعية والتأويل المثالي واستخلاصه أوجه المواجهة بينهما.

أما الأطروحة الثانية فقامها ريكور على موضوع العلاقة بين الإرادي واللاإرادي، وقد ظهر ريكور في هذه الأطروحة منحازاً إلى الإرادة والوعي الإنسانيين ومؤكداً أهمية فرضيات ميرلو بونتي الفينومينولوجية التي تمنح الإدراك الحسي الدور الأكبر في تعيين الظواهر وفهمها. لكنَّ ريكور سرعان ما نقض أطروحة ميرلو بونتي التي قدمها في كتابه «المرئي واللامرئي» وعدَّها مخالفة لأفكاره المثمرة الواردة في كتابه الأول « فينومينولوجيا الإدراك الحسي». أما كتاب جان بول سارتر الشهير «الوجود والعدم» فقد شنَّ عليه ريكور هجوماً كبيراً لأنَّ سارتر أحلَّ التشاؤم محل الإرادة. وفي المحصلة فإنَّ كتاب سارتر لم يبعث في نفس ريكور إلا قدراً يسيراً من الإعجاب الباهت ولم يقتنع كثيراً بما ورد فيه.

الحياة الجامعية

عُيِّن ريكور في خريف 1948 أستاذاً مُحاضراً في تاريخ الفلسفة في جامعة ستراسبورغ التي بقي فيها حتى عام 1957، واتبع ريكور منهجاً تركيبياً في تدريسه إذ ندب نفسه لتدريس فيلسوف في كل موسم جامعي وأنْ يجتهد، مع طلبته، في متابعة مقولاته وأفكاره الفلسفية.

وسوف تتحدد ملامح منهج ريكور الفلسفي بعد حصوله على درجة الأستاذية في الفلسفة العامة بالسوربون عام 1957 إذ قام بإصدار كتابه "فلسفة الإرادة" بعد أنْ أتمَّه وراجعه عدَّة مرات. ثمَّ كان أنْ استكمل بناء أفكاره المرتبكة بالإرادي واللا إرادي ومتابعة تصوُّراته الأنطولوجية المتعلقة بالمتناهي واللامتناهي، وصولاً إلى حسم رؤيته الفلسفية حول موضوع أفق الإدارك المتناهي وقصد النص اللامتناهي. وهنا يرى ريكور أنَّ مأزق الهرمينوطيقا يكمن في صبغتها المثالية التي تجعل القصد اللامتناهي هدفاً لها وأنَّه لا بدَّ من تطعيم الهرمينوطيقا فينومينولوجياً.

تفكيك رموز الشَّر

كان من الطَّبيعي أنْ يصطدم مشروع ريكور بالفلسفة السياسية بعد أنْ قادته تأملاته السياسية إلى اتِّخاذ موقف انطولوجي بين رؤيتين فلسفيتين تُفسِّران أسباب الشر ودوافع الحربين اللتين ضرستا أوروبا والعالم. تُجسِّد الرؤية الأولى تحليل الإرادة المحايدة التي تقترف الشر ومعرفة مكوناتها الفينومينولوجية. في حين تتناول الرؤية الثانية إرادة الشر تناولاً تاريخياً. واختار ريكور البدء بالرؤية الثانية؛ لاكتشاف أساطير الشر ورموزه المُشغِّلة من قبل الثقافات الكبرى كأنْ ريكور ينفي عن الثقافة الأوربية إنتاج الشر وهنا تتجلى نزعته الميتافيزيقية؛ في انحيازه المطلق للثقافة الغربية التي أعادت إحياء الثنائيات الميتافيزيقية لتُثبت لنفسها الأخلاق والخير والمعرفة والتسامح. ورغم أنَّ ريكور يبحث عن دوافع الشر، في الثقافة الغربية، التي أنتجت الحربين العالميتين وأدت إلى صعود القوميات وتنامي العداء إلا أنَّ بحثه قاده، كما قاد غيره من الفلاسفة الغربيين، إلى البحث عن نصيَّات تنتمي إلى ثقافات الآخر على اعتبار أنَّ الآخر يصدر عن خليط وتشوهات من الفلسفات العرفانية والغنوصية التي لا تحفل بمبادئ العقل ولا يوجد لها أي مستندات منطقية. وهذا الموقف يكشف عن هيمنة الرؤى الاستشراقية على كافة الحقول والمعارف الغربية. ويهدف ريكور من هذه المقاربة إلى مراجعة الذات التي تتم من خلال إدراك الذات لنفسها إدراكاً مباشراً؛ "فالذات، على نحو ما أثبتهُ، لا تُدرك نفسها مُباشرة، بل عن طريق العلامات المودعة في ذاكرتها وفي مُخيلَّتها من قبل الثقافات الكبرى". وضمن هذا السياق يستعير ريكور الكوجيتو الديكارتي والهوسرلي لتحقيق بُعدين؛ بعد نقدي وبعد استشرافي. ويتعلق البعد النقدي بتفكيك الذات الأوروبية الجمعية لتُدرك نفسها، في حين يتعلَّق البعد الاستشرافي بكشف أخلاقيات الآخر. وهنا يعترف ريكور بالأثر الذي خلَّفه دخوله عالم الأفكار لهوسرل إذ أصبح موقفه من الذات قائماً على الريبة والشك. لذلك قرر خوض مغامرة تأمل الذات عبر مسارين؛ مسار يُعنى بتحليل محتوى الفكر (المُدرك، أو المُراد)، ومسار يُعنى بتحليل فعل الفكر (الإدراك، أو الإرادة). ومع أنَّ ريكور اكتشف أنَّ تأمل الذات عبر تحليل محتوى الفكر أكثر يُسراً وسهولةً إلا أنه واجه مشكلةً نوعيةً تتمثَّل في قدرة الذات على التمويه ومقاومة الاعتراف.

* شاعر وناقد من الأردن

بول ريكور

فضاءات ثقافية

جائزة الشارقة للإبداع العربي تصدر مجموعة قصصية

ابوظبي ـ «القدس العربي»:

اصدرت جائزة الشارقة للإبداع العربي حديثا مجموعة قصصية للكاتبة عبير يونس ضمن منشوراتها بعنوان «تداعيات اخيرة».

وتعتبر جائزة الشارقة للإبداع العربي ملمحا أساسيا من ملامح النشاط الثقافي لدائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، ويتجلى هذا الملمح الشامل والمتفاعل مع العمق العربي من حيث أن الجائزة موجهة للشباب العرب حتى سن الأربعين من خلال ستة ميادين وهي: القصة القصيرة، والرواية، والشعر، وأدب الأطفال، والمسرح والنقد.

وخلال الدورات الثماني التي استمرت في الفترة ما بين 1996 حتى 2005 كانت للجائزة أهمية استثنائية في الإشارة إلى جملة من المواهب الأدبية التي أصبح لها شأن في أوطانها، كما اتسمت المشاركات بلمسة التنوع سواء من حيث البلدان المشاركة، أو من حيث الموضوعات، وقد تبين من جملة المشاركات السابقة بعض السمات الأساسية التي تغلب على الإبداع الأدبي في بعض البلدان العربية فالسرديات بإجمالها كان لها حضور خاص في مصر، بينما كان للشعر حضوره الخاص في العراق.

ولا تكتفي الجائزة بآلية التدوير السنوي التي تبدأ بالإشهار، ثم يليها الفرز وفق الشروط، فالتحكيم الذي يقوم به كوكبة من خيرة النقاد والمفكرين، بل تواصل تتويج النتائج بتقديم الجوائز المالية للفائزين بالمراتب الأولى والثانية والثالثة في كل حقل من حقول الإبداع، فيما يتم التنويه بالمتميزين الذين لم يجدوا فرصة في الفوز، وتقوم دائرة الثقافة والإعلام بطباعة كل الأعمال الفائزة كأصل في إصدارات الدائرة السنوية من الكتب، وأخيرا تتواصل الفعاليات بورشة عمل فكرية يشرف عليها أحد أبرز النقاد العرب ويشارك فيها الفائزون بمداخلات تثري الورشة، وتسلط الأضواء على أبرز القضايا الإشكالية المطروحة في ساحة الإبداع العربي، وتتوخى الورشة وضع الفائزين في صورة البعد النظري لنوع الكتابات الإبداعية التي يمارسونها، وبالمقابل يستفيد الشباب الفائز من توجيهات وآراء النقاد، إلى جانب جملة من الحضور والنقاد والأدباء ثم يتم تتويج كل هذا بإصدار المداخلات في كتب توثق لها وتنشرها عبر قنوات التوزيع المعمولة.

كما أصدرت جائزة الشارقة للإبداع العربي «الإصدار الأول» كتيبا يتوخى توثيق المشاركات ومؤشرات الفوز، وعناوين الكتب التي صدرت عطفا على نيلها إحدى الجوائز، والاطلاع على حجم ونوع المشاركات من مختلف البلدان العربية، والاطلاع على موضوعات الورشة الفكرية المصاحبة المتوجة للجائزة بما فيها أسماء المشرفين على تلك الورش، وتقديم كل تلك المؤشرات والإحصاءات ضمن رسومات تيسر تقريب الصور لقارئ هذه المطبوعة.

التسلح ونزع السلاح والامن الدولي الكتاب السنوي 2006

بيروت ـ «القدس العربي»:

صدر حديثا عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب «التسلح ونزع السلاح والامن الدولي ـ الكتاب السنوي 2006».

يقدم مركز دراسات الوحدة العربية الى القارىء العربي في هذا المجلد الطبعة العربية من كتاب معهد ستوكهولم لابحاث السلام الدولي (سيبري): التسلح ونزع السلاح والامن الدولي: الكتاب السنوي 2006 وذلك بالتعاون مع المعهد السويدي بالاسكندرية.

يرصد هذا الكتاب احداث سنة 2005 وفقا لمنهج «سيبري» الذي يتابع بالتوثيق والاحصاء والتحليل مختلف التطورات في السياسة والامن الدوليين، وقضايا الاسلحة (التقنيات، والانتقال، والاتجار، والانتشار، والاتفاقيات، والمعاهدات.. الخ) والصراعات في المسرح العالمي مركزا على ما يراه اهمها واخطرها، ومدققا في ابعادها، وراسما ما يمكن اعتباره خريطة احتمالات مستقبلية يفيد منها الباحثون، وصناع القرار والقراء العاديون.

يحتفل معهد «سيبري» هذا العام بالعيد الاربعين لتأسيسه. وهي سنوات عمق خلالها تميزه بالدقة وسعة المتابعة، فانه في الوقت نفسه يؤكد سنويا اهمية البحث عن حلول تعاونية بين الجهات الحكومية والمنظمات غير الحكومية لمعالجة الصراعات بما يخدم السلام الانساني.

وتجدر الاشارة اخيرا الى ان هذا الكتاب السنوي 2006 هو الكتاب السابع والثلاثون في طبعته الانكليزية والكتاب الرابع في طبعته العربية.

يقع الكتاب في 1248 صفحة.

بالسيف والصليب

دمشق ـ «القدس العربي»

■ رغم القرون الكثيرة التي تفصلنا عن الحروب الصليبية زمنياً، ما تزال تشكل اغراء متناميا لدى الكثير من الباحثين لاستعادتها بهدف كشف الدوافع الحقيقية لاندلاعها منذ عام 1096م وحتى الآن، وهو ما يسعى الكاتب الروسي ميخائيل زابوروف لتسجيله في كتاب «بالسيف والصليب» الصادر مؤخراً عن دار الرأي– ترجمة الدكتور هاشم حمادي.

الحروب الصليبية من وجهة نظر زابوروف ليست أكثر من التفاف من الكنيسة على تمرد الفلاحين والغوغاء ضد السلطة الاقطاعية في القرون الوسطى، مما يسمح بدفع تلك الجيوش المحبطة من الفلاحين والأقنان والمتشردين باتجاه الخلاص في شرق لاهوتي بطبعه.

امتدت الحروب الصليبية حتى عام 1270م، ليس بهدف الاستيلاء على القدس اذ لا زالت نتائجها وتأثيراتها مستمرة حتى الآن، معتبراً أن الفاشية والنازية في النصف الأول من القرن الماضي كانتا تجلّياً لتلك الحروب بدوافعها وأسقاطاتها التي ما تزال مستمرة في الحروب الأمريكية المعاصرة في منطقة الشرق الأوسط، وتطبيقاً لها تحت مسميات دعائية معاصرة كالحرية ومحاربة الارهاب.

عُزْلة الحمل في برجه*

شاكر لعيبي*

(1)

الحاليّ غبارٌ يتطاير على عتبة الدار
والكائنُ ينبض فوق سريره موجة إثر موجة
كأن البلادَ ضربةُ حمّى أخيرة تذهب عميقاً في الحَشَى
كأن العباد أسنان مشط خشبيّ مكشوط الأطراف
كأن درّة القلب منطوية في الظلام الفريد
كأن الأعلام أمٌ تموج في ذرات العجاج
كأن غبار المشى الريفيّ المتطاير تحت الحَدَوَات
يحطّ على تيجان الملوك الموهَّة بالذَهَبْ
كأنه نائمٌ على ورقةٍ بنفسجيةٍ مكتوبةٍ بمدادٍ هوائيّ
محاصرٌ بالظلّ الزائل
هكذا طفحتْ حدودَ الأشياء على الرغوات
هكذا تأوّهت التخومُ النهرية في التماعات الصحون المثلمة
الأيدي، ثمة الأيدي التي تغترف من هبائه
الأيدي، ثمة الأيدي الملتمّة في دمه المرئي على صفحة الورقة العذراء
الأيدي، ثمة الأيدي الملتمّة في القصعة التي تقع الأصابع فيها على
الأصابع
ثمة الأيدي وثمة القلوب التي ينبعث الشرر من أطرافها
يا للحالي الحائل اللون على الوجوه الواجمة
آه من فلتات اللسان الأحمر...

(2)

الليالي مريضات في سريرك أيتها المغادِرَة
لقد انتظرتك طويلا في الممرّ المنتهي عند حافةٍ حادةٍ
كان الضوءُ مسماراً على الحائط
وكنت مسمّراً على طاولة طافية آخرة الصالة
لعلي كنتُ أشمّ عطراً بائدا من عطورك الألف
كانت خياشيمي مفتّحة على الهواءات المصطفقة خارج الصالة
في جنوح الحديقة
كانت الأشباح تسقيني من النهير الضائع بين الخرائب
كانت الأراجيح تصعدُ ولا تعود
وأعواد البستان السلاليّ تتبعثر على رأسي
وكنت أسقي ضراوة يأسي مما تبقى من الأشياء الحميمة
لقد انتظرتُ طويلاً تحت عمودٍ يرفرف السراب فوق تيجانه
طويلاً ووحيداً...

(3)

رأيتكَ واقفاً في سموّ الريحان
بين أزاهير جسدي الأنثويّ المتكوّم في الحجرة الأخيرة
لماذا كنتَ منتصباً بقبعة غريبة وفمٍ ثملٍ تزخرُ بالرجّات
كم ستدوم زلازلك على مقياس الربوبية أيها القارة الناتئة؟
لكنني كنت ضفة طينية رطبة
أهزأ بشدقين مبللين من ربيعك السريع
كنت أعلن صدعين زلاليين لا تطمرهما إلا وردة واحدة
أيها المبجّل المخادِع الذي لا يعرف إلا مخدعي بعد الساعة الواحدة
انتصفَ النهار وما زلتَ واقفاً على الباب المائيّ
سريع العطب
انتصفْ مني سريعاً إذن قبل أن أبلغ سن الحكمة
قلْ كلمة واشردْ في نعيم الغيمة
سارعْ إلى مأدبتي يا قصبة طرية سنأكل كلانا بها
لماذا ما زلتَ واقفاً في حديقتي بعد هذا المطر ؟
دوّرْ عجلاتكَ وانحدرْ بعيداً
عجّلْ في إ